

تفسير البحر المحيط

@ 432 رَبِّي لَـ يُجَلِّئُهَا لِرَوْقَتَيْهَا إِلاَّ هُوَ } . أي [] استأثر بعلمها ولما كان السؤال عن الساعة عموماً ثم خصص بالسؤال عن وقتها جاء الجواب عموماً عنها بقوله قل إنما علمها عند ربي ثم خصصت من حيث الوقت فقل لا يجليها لوقتها إلا هو وعلم الساعة من الخمس التي نصّ عليها من الغيب أنه تعالى لا يعلمها إلا [] والمعنى لا يظهرها ويكشفها لوقتها الذي قدّر أن تكون فيه إلا هو قالوا : وحكمة إخفائها أنهم يكونون دائماً على حذر وإخفاؤها أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الأجل الخاص وهو وقت الموت لذلك ، وقال الزمخشري : لا يجليها لوقتها إلا هو أي لا تزال خفية ولا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء علمها إلا هو وحده إذا جاء بها في وقتها بغنة لا يجليها بالخبر عنها ، قل : مجيئها أحد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره إلى وقت وقوعها انتهى ، وهو كلام فيه تكثير وعجمة . . .

{ ثَقُلَاتٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } قال ابن جريح معناه ثقلت على السموات والأرض أنفسها لتفطر السموات وتبدّل الأرض ونسف الجبال ، وقال الحسن ثقلت لهيبتها والفرع منها على أهل السموات والأرض ، وقال السدي : معنى ثقلت خفيت في السموات والأرض فلم يعلم أحد من الملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين متى تكون وما خفي أمره ثقل على النفوس انتهى ، ويعبّر بالثقل عن الشدة والصعوبة كما قال : { وَيَذَرُونَ رِءَاؤُهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا } أي شديداً صعباً وأصله أن يتعدى بعلی تقول ثقل عليّ هذا الأمر ، وقال الشاعر : .

ثقل على الأعداء .

فإما أن يدعي أن في بمعنى على كما قال بعضهم في قوله ولأصلبنكم في جذوع النخل أي ويضمن ثقلت معنى يتعدى بفي ، وقال الزمخشري : أي كل من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة وودّ أن يتجلى له علمها وشقّ عليه خفاؤها وثقل عليه أو ثقلت فيهما لأن أهلها يتوقعونها وبخافون شداؤها وأهوالها ولأنّ كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيهما . { لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بِغُتَّةٍ } أي فجأة على غفلة منكم وعدم شعور بمجيئها وهذا خطاب عام لكل الناس وفي الحديث أن الساعة لتهجم والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يسوم سائمه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه . { يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ } قال ابن عباس والسدي ومجاهد : كأنك حفي بسؤالهم أي محبّب له وعن ابن عباس أيضاً : كأنك يعجبك سؤالهم عنها وعنه أيضاً كأنك مجتهد في السؤال مبالغ في

الإقبال على ما تسأل عنه ، وقال ابن قتيبة : كأنك طالب علمها ، وقال مجاهد أيضاً
والضحك وابن زيد : معناه كأنك حفي بالسؤال عنها والاشتغال بها حتى حصلت عليها أي تحبه
وتؤثره أو بمعنى أنك تكره السؤال لأنها من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم يؤته أحداً
، وقال ابن عطية : أي محتف ومحتفل ، وقال الزمخشري : كأنك عالم بها وحقيقته كأنك بليغ

في السؤال عنها لأنّ من بالغ في السؤال عن الشيء والتنقير عنه استحکم علمه فيه وهذا
التركيب معناه المبالغة ومنه إحفاء الشارب واحتفاء النعل استئصاله وأحفى في المسألة
ألحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البرّ به انتهى ، وعنها إما أن يتعلق بيسألونك أي
يسألونك عنها وتكون صلة حفي محذوفة والتقدير كأنك حفي بها أي معتن بشأنها حتى علمت
حقيقتها ووقت مجيئها أو كأنك حفيّ بهم أو معتن بأمرهم فتجيبهم عنها لزعيمهم أن علمها
عندك وحفي لا يتعدى بعن قال تعالى :